جند الشام وكان للرماة دوراً كبيراً في المعارك التي غالباً ما تبدأ بتراشق النبل لايقاع اكبر الخسائر في صفوف العدو ،ولكن دور الرماة يبر في الدفاع اكثر من الهجوم ،لأن الرامي يكون في حالة الوقوف اكثر دقة في الرمي والاصابة من الرامي المهاجين الذي قد تؤثر حركته على دقته في التصويب ، لذلك فإن وضعها المضائق وفق اسوار المدن والقلاع يكون اكثر فائدة[1].

٤-المنجنيقيون والدبابون

وهؤلاء هم الجند الذين يعملون على آلة المنجنيق لرمي جيوش الاعداء بالحجارة والمواد الحارقة ، والذين يرافقون الدبابات التي تستخدم في التقرب الى أسوار الاعداء لغرض هدمها ،أو احداث ثغرة فيها وهم من صنوف الجيش الفعالة ، لما لهذه الاسلحة من تأثير على سير الحروب وأرباك الجيوش ، لاسيما في حصار المدن وكانت بعض المجانيق المستخدمة كبيرة جداً ، فقد كان لدى محمد بن القاسم الثقفي في حملته على السند منجنيق ضخم يقال له العروس ، يعمل عليه وقت الرمي خمسمائة رجل ، نصبه على مدينة الديبل (كراجي الحالية) فأصاب سارية المعبد الرئيس في المدينة الأمر الذي أدى الى تطير العدو من ذلك وجزعه [2]، وقد استخدمت المجانيق في اماكن اخرى وضمن حملات عديدة في العصر الاموي ، ولاشك ان هذه المجانيق الكثيرة كانت تتطلب اعداداً كافية من الرماة والعمال الذين يقومون بتشغيلها ،ونصبها واصلاحها.

أما الدبابون ، فكان عملهم ينحصر في دفع الدبابة وهم محتمون في داخلها من حجارة الاعداء وسهامهم . وحينما يقتربون من اسوار العدو تبدأ مهمتهم الأساسية برمي المواد المشتعلة ، ونقب الاسوار بالمعاول والفؤوس بهدف احداث ثغرة فيها ،ويبدو أن صنف الدبابين كان ثانوياً في العصر الأموي ، لعدم استخدام هذا السلاح على نطاق واسع : ومع هذا فقد وردت اشارة الى استخدام الدبابة في الأندلس من قبل موسى بن نصير حينما حاول حصار مدينة ماردة ، فقد أمر بعمل ((دبابة فدب المسلمون تحتها الى برج من ابراجها ...))[3].

٥-الفعلة :

تطلبت الحروب الكثيرة التي خاضها الجيش العربي الاسلامي وجود فئات متعددة من الرجال الذين لايدخلون ضمن الصنوف المقاتلة ، لأن مهامهم كانت تتركز على الاعمال الادارية ،والقيام بشق الطرق ،وحفر الخنادق ،واقامة الجسور ،والقناطر ،وحفر الآبار ،وردم الخنادق ،وغيرها من العمليات التي تتطلبها طبيعة المعارك المتنوعة والمتسعة في العصر الأموي .وقد

---

(١) الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص١٢٤.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٢٤.

(٣) اخبار مجموعة ، ص١٧.

استعان قادة الجيش بالعمال وأصحاب المهن والحرف من البنائين والنجارين والحدادين من أهالي المناطق المحررة ،أو من أسرى الحرب ، لاسيما من الفرس والروم الذين كانت لديهم خبرة في هذه الأعمال ، فأفاد منها قادة الجيش العربي ،وأضافوا اليها الكثير من الأساليب التي جاءتهم نتيجة الخبرة والممارسة المستمرة في الحروب[1].

ومن الأمثلة على استخدام الفعلة في الجيش ، قيام الحجاج بن يوسف بتجنيد عدد من هؤلاء لتخريب القناطر والجسور في الطريق المؤدي الى البصرة لمنع قوات عبد الرحمن بن الأشعث من التقدم [2]، كما استخدم قتيبة بن مسلم الباهلي الفعلة في حصارة لمدينة بيكند فيما وراء النهر وتصور احدى روايات الطبري [3]، خطة قتيبة في الاستفادة من هؤلاء فتشير الى أنه ((وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها بالخشب ،وهو يريد اذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتهدم ...)) ولكنه لم يستطع ان ينفذ هذه الخطة الى غايتها ، فقد سقط الحائط وهم يعلقونه ، فقتل اربعين من الفعلة ،ومع ذلك قاتل قتيبة اهل المدينة ،وظفر بها عنوة وبدل مقتل هذا العدد من الفعلة على ضخامة الاعداد التي انيط بها القيام ، بهذا الاجراء العسكري ، واستخدام مروان بن محمد ، الذي كان والياً على ارمينية واذربيجان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، الفعلة من الحدادين في تسهيل عملية اقتحام احدى قلاع أرض السرير في أرمينية ، فقد أمرهم بصنع ألواح من الحديد يمكن أن تدق في حجارة السور ،وجاءوا بها الى خلف القلعة ، فجعلوا يدخلون تلك الاعمدة الحديدية بين حجارة السور واحداً بجانب الآخر ، ثم وضع على كل عمودين لوح من الخشب ،واستخدام المقاتلون هذا السلم المتدرج في الصعود الى القلعة واقتحامها ،وأمر بعد ذلك الفعلة بهدم سور القلعة حتى سوى بالأرض [4].

٦-الخدمات (النقل والتموين والطبابة)

ادى توالي انتصارات العرب ،واتساع رقعة الدولة في العصر الأموي الى توفر اعداد كبيرة من الأسرى والرقيق الذين كانوا يوزعون على المقاتلين بصفة غنائم ، للاستفادة منهم في القيام ببعض الاعمال الخدمية ، مثل اعداد الطعام ،وجلب الماء ،ونقل الامتعة ونصب الخيم ،واقامة المعسكرات وحراستها ،وتوفير المؤن والذخيرة والاشراف عليها ونقل الجرحى الى مواقع الاسعاف

---

(١) الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص١٢٩.

(٢) البلاذري : انساب ، طبعة الهورت : ٢٤/١١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك : ١١٨٧/٢-١١٨٨.

(٤) ابن اعثم : الفتوح : م٤ ، ص٢٩٢.

مكتبة الصفوة – بغداد – شارع فلسطين – قرب الباب الرئيسي للجامعة المستنصرية

،ودفن الشهداء ،وغير ذلك من الاعمال التي تتطلب وجود جماعات جاهزة من الرجال المعدين لهذا الغرض[١].

وقد نجحت القوات العربية في مجال النقل من استخدام القوافل التي تعتمد على الجمال والبغال في توصيل الذخيرة والمعدات الى مناطق القتال .وكانت الجمال هي الوسيلة المفضلة في المناطق الصحراوية ، بينما استخدمت البغال في المناطق الجبلية الباردة ، استخدمت دواب البريد في نقل الامدادات البشرية السريعة في بعض المعارك مثال ذلك ارسال الخليفة عبد الملك بن مروان للمقاتلين من اهل الشام الى الحجاج يوسف على دفعات صغيرة محمولة على دواب البريد في اثناء حركة ابن الأشعث [٢].

وفي مجال خدمات التموين ، كانت القوا العربية تتزود بالمؤن من المدن والقرى التي تمر بها ،وكان بعض رؤساء القبائل ، وكبار الأعيان يتبارون في اطعام الجند على نفقتهم الخاصة . وفي حالة ابتعاد القوات عن قواعدها الرئيسة ، كان لزاماً عليها ان تتولى انشاء قواعد متقدمة لتجهيز الجيش والمقاتلين بما يحتاجون من طعام وذخيرة . ويمكن اعتبار مدينة باب البواب في ارمينية مثالاً لمثل هذه القواعد المتقدمة حيث بني فيها مسلمة بن عبد الملك مخازن للطعام والذخيرة ،وقد اشترط محمد بن مروان ، الذي اعقبه على ولاية أرمينية ، في معاهدات الصلح مع أهالي المدن المحررة ، أن يتعهدوا بإرسال كميات معلومة من الجنوب والطعام الى مخازن باب الأبواب [٣].

كذلك تطورت وسائل العلاج والخدمات الطبية واسعاف الجرحى الذين يصابون في الحروب في العصر الأموي ، فبعد أن كانت النساء يقمن بهذه المهمة في عصر الرسول (ص) ،أصبحت معالجة الجرحى من واجبات جماعات متخصصة لهذا الغرض ، وأن كانت المعلومات المتوفرة عن هذه الجماعات قليلة ،ولكنهم بكل تأكيد أخذوا المبادئ الأولية التي كانت معروفة عن الطب من قبائلهم وعرافهم ، كما تقيدوا بالوصايا التي جاء بها الدين الاسلامي عن التطهير والنظافة وغسل الجروح وكيها[٤] ، وهذا يعني أن المسؤولين عن الجيش أهتموا بوجود وسائل للعلاج والاسعاف من خيم وأدوية وأطباء وممرضين . وتشير احدى الروايات الى استخدامهم

---

(١) الجنابي : تنظيمات الجيش ، ص١٣٠.

(٢) الطبري ، تاريخ ،ج٢، ١٠٦ ، ابن الأثير ، الكامل : ٤ج٤، ص٤٦٥.

(٣) البلاذري : فتوح البلدان : ٢١٠ ، الجنابي : تنظيمات الجيش : ١٣٢.

(٤) راجي عباس التكريتي : الاستاذ الطبي في الجيوش العربية الاسلامية ، بغداد ، دار الحرية للطباعة والنشر ، ١٩٨٤ ، ص١٢٤.

للمحامل ، أو النقالات لنقل الجرحى الى مواضع الاسعاف ويذكر أن الحجاج بن يوسف كان أول من أستحدث هذه المحامل وحمل فيها الجرحى[1].

٧-القصاص والقراء

وهؤلاء من جملة الصنوف الملحقة بالجيش لآثارة حماس المقاتلين وتذكيرهم بامجادهم ،وحثهم على الصبر والقتال .وكان القراء يقرأون سورة الجهاد ،وهي سورة الانفال ، عملاً بالسنة النبوية الشريفة ،وقد توسعت ظاهرة استخدام القصاص والقراء في العصر الأموي ، فكانوا ينتشرون بين صفوف الجند قبل بدء المعركة ويلقون عليهم الشعر الحماسي ويذكرونهم بفضل القتال والجهاد والاستشهاد في سبيل الله ويحذرونهم في الوقت نفسه من نتائج الهزيمة ،وما يمكن ان يتبعها من السبي ،وهتك الحريم ،وسفك الدماء ،والخذلان وكان الولاة يحرصون على تزويد الجيش بمجموعة من هؤلاء القصاص الذين أصبحوا في أواخر العصر الأموي يتميزون بالعلم والدين والفقه ، من ذلك مثلاً ارسال حنظلة بن صفوان الكلبي والي افريقية ، للقصاص والقراء ليساهموا في حث الناس على الجهاد في معركة الاصنام مع الخوارج سنة ١٢٤هـ /٧٤١م .وبالفعل استطاع هؤلاء أن يستثيروا حماس المقاتلين حتى أنهم استبطأوا فراغ القراء من كلامهم تحمساً للقتال ،وفأرسل حنظلة الى القراء قائلاً : ((تنحوا عن القوم وخلوا بينهم وبين عدوهم على اسم الله وعونه))[2].

٨-العيون والجواسيس

وكان هؤلاء فئه ضرورية جداً للتعرف على خطط ونوايا الاعداء واستطاع أخبارهم ،ويعدون من العناصر القتالية الفعالة، لانها تقاتل العدو داخل صفوفه من خلال كشف نواياه وخططه ،وقد استخدم الرسول (ص) والخلفاء الراشدون ، العيون وعرفوا قيمتهم العسكرية ،واستطاعوا وضع الخطط السوقية الصائبة بناء على معلوماتهم وفي العصر الأموي كثرت الحاجة الى هؤلاء العيون والجواسيس لتعدد الجبهات القتال وشمولها [3]، فاستخدمهم موسى بن نصير في جبهات المغرب ، كما استخدمهم قتيبة بن مسلم في جبهات المشرق ، كذلك استفاد منهم الجراح بن عبد الله الحكمي

---

(١) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبين ، تحقيق : حسن السندوبي ، القاهرة ، ١٩٤٧-١٩٤٨ : ٣١٥/٢ ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، كتاب الاوائل ،تحقيق : محمد السيد الوكيل ، طنجة ١٩٦٦ ، ص٢٥٤ ،وينظر : طه ، العراق في عهد الحجاج ، ص١٥١.

(٢) ابو اسحق ابراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق : المنجي الكعبي ،تونس ١٩٦٨ ، ص١٢٠ ،وينظر الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص١٣٣-١٣٥.

(٣) ينظر : : فاروق عمر فوزي ، ونظام الاستخبارات العسكرية ، بحث ضمن كتاب الجيش والسلاح ، بغداد –الحرية ١٩٨٨ ، ١٠٤/٤.

والواقع ان الفضل في إنشاء اول أسطول عربي إسلامي يعود الى الخليفة عثمان بن عفان (رض) الذي إذن لمعاوية في غزو الروم بحراً على ان لا يحمل احداً على ركوب البحر، بل يجعل الأمر اختيارياً، وقد نجح معاوية في تحقيق أهدافه وسعيه لبناء أسطول بحري يضاهي به أساطيل الروم، فقد أقبل العرب المسلمون على ركوب البحر وقد تفوقوا على الروم وغيرهم، وكثر عدد السفن التي كان لها أثرها في اتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية وإخضاع العديد من جزر البحر المتوسط وكان لكل سفينة حربية قائد او مقدم له القيادة فيما ما يختص بسفينته في البحر وعليه تقع مسؤولية تدريب الجند وإعدادهم للقتال، وكان قائد الأسطول يدعى بأمير البحر[(١)].

وتشير المصادر الأوروبية الى ان الاصلاحات البحرية العربية المستخدمة في اوروبا لا تزال تحتفظ بعربيتها وقد شاع على ألسنة البحارة في جنوب أوروبا[(٢)].

الواقع ان معاوية بن ابي سفيان أبدى اهتماماً كبيراً بالبحرية العربية منذ ان تولى الخلافة سنة (٤١هـ) فحرص على تدعيم الدفاع عن السواحل العربية ضد الغارات التي كانت تشنها الأساطيل البيزنطية، فأولى اهتماماً بتقوية وسائل الدفاع والحراسة الساحلية كالمحارس والمناور او المنائر او المواقيد الممتدة على سواحل مصر والشام، فكان على المرابطين في هذه المواقع إذا ما اكتشفوا عدواً في البحر مقبلاً من بعيد أشعلوا النار على قمم المناور او المواقيد إذا كان الوقت ليلاً او أثاروا فيها الدخان إن كان الوقت نهاراً بالإضافة الى استخدامهم الطبول والنفير لتحذير أهالي المدن المجاورة من غارة العدو، وكذلك قام معاوية بنقل أهالي البلاد الداخلية الى هذه الجهات الساحلية ومنحهم الاقطاعات الواسعة بقصد تشجيعهم على ركوب البحر من جهة وتعمير البلاد وزيادة عدد سكانها من جهة اخرى، فقد روي البلاذري ان معاوية نقل قوماً من أهل بلعبك وحمص الى سواحل الأردن وصور وعكا، كما نقل أقواماً من أهل البصرة والكوفة الى أنطاكيا في شمال الشام[(٣)].

الحياة الفكرية في العصر الأموي

١-العلوم الدينية:

تعد العلوم الدينية في مقدمة العلوم التي نالت اهتمام العرب المسلمين وعنايتهم خلال العصور المختلفة، حيث تأسست المدارس الدينية في أقاليم الدولة العربية الاسلامية ببعض الجهود التي

---

(١) حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، ص٢٤٠.

(2) Vonkramer, Orient under the caliphs, p. 356.

((٣))العبادي وآخرون، الحضارة الاسلامية، ص٢١٢.